الباب الرابع

صورة من وصايا التابعين عند الموت

رحمهم الله

وصية عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم :

عن أبي جعفر محمد بن عليّ قال : أوصاني أبي فقال : لا تصحبن خمسة ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق :

قال : قلت : جعلت فداءك يا أبتي ، من هؤلاء الخمسة ؟ .

قال : لا تصحبن فاسقًا فإنه يبيعك بأكلة فما دونها .

قال : قلت ثم يا أبه وما دونها ؟ .

قال : يطمع فيها ثم لا ينالها .

قلت : يا أبه ومن الثاني ؟ .

قال : لا تصحبن البخيل فإنه يقطع بك في ماله أحوج ما كنت إليه .

قال : قلت يا أبه ومن الثالث .

قال : لا تصحبن كذّابًا فإنه بمنزلة السراب يبعد منك القريب ويقرب منك البعيد .

قال : قلت : يا أباه وما الرابع ؟ .

قال : لا تصحبن أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك .

قال : قلت : يا أبه وما الخامس ؟ .

OBEIKAN.COM

قال : لا تصحبن قاطع الرحم فإني وجدته ملعونًا في كتاب الله في ثلاث مواضع » [١] .

وصية سعيد بن المسيب سيد التابعين - رحمه الله - :

عن عبد الرحمن بن محمد القاري عن سعيد بن المسيب أنه قال في مرضه : « إياي وحاديهم الذي حدوا لهم هذا الذي يقول : استغفروا له غفر الله لكم ، فأرادوا أن يحولوه إلى القبلة ، فقال : ما لكم ؟! ، قالوا : نحولك إلى القبلة .

قال : ألم أكن على القبلة إلى يومي هذا ؟ ، ما أرى هذا إلا عمل فلان .

قال رحمه الله : لا تؤذنوا بي أحد ، حسبي من يبلغني إلى ربي لا يتبعني راجزهم هذا ، وأن لا يمشوا معي بمجمر فإن أكُ طيبًا فما عند الله أطيب » .

قال رحمه الله : وأوصيت أهلي إذا حضرني الموت بثلاث ألا يتبعني راجز ولا نار وأن يعجل بي فإن يكن لي عند ربي خير فهو خير مما عندكم » [٢] .

وصية علقمة بن قيس- رحمه الله - :

قال علقمة بن قيس - رحمه الله - عند موته : « لا تنعوني كنعي الجاهلية ، لا تؤذنوا بي أحدًا وأغلقوا الأبواب ولا تتبعني امرأة ولا تتبعوني بنار ، وإن استطعتم أن يكون آخر كلامي لا إله إلا الله فافعلوا » [٣] .

وصية عطاء بن أبي رباح- رحمه الله - :

عن أبي الحسين قال : لما حضرت عطاء الوفاة صاحت النساء ، فقال عطاء : أكفني هؤلاء فإن غلبون فاستعن عليهم بالسلطان ، ثم جعل يقول : يا صريخ

---

(١) كتاب صفة الصفوة ، (جـ١ ، ص ٣٠١) .
(٢) كتاب سكب العبرات ، (جـ ١ ، ص ١٩٩) .
(٢) كتاب سكب العبرات ، (جـ ١ ، ص ٢٠٠) .

الأخيار ، يا صريخ الأخيار ، فلم يزل يقولها حتى قبض » [١] .

وصية عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - :

قال ابن عيينة : قلت لعبد العزيز بن عمر ما آخر ما تكلم به أبوك ؟ .

فقال : كان له من الولد أنا وعبد الله وعاصم وإبراهيم وكنا اغيلمة فجئنا كالمسَلمين عليه والمودعين له فقيل له ، تركت ولدك ليس لهم مال ولم تؤوهم إلى أحد ، فقال : ما كنت لأعطيهم ما ليس لهم ، وما كنت لأخذ منهم حقًا هو لهم ، وإن وليى الله فيهم الذي يتولى الصالحين ، إنما هم أحد رجلين صالح أو فاسق ، وقيل إن الذي كلمه خالهم مسلمة .

الوصية الثانية له - رحمه الله - :

وعن عمرو بن قيس قال : قالوا لعمر بن عبد العزيز لما حضره الموت : أعهد يا أمير المؤمنين قال : أحذركم مثل مصرعي هذا ، فإنه لابد لكم منه وإذا وضعتموني في قبري فانزعوا عني لبنة ، ثم انظروا ما لحقني من دنياكم هذه .

الوصية الثالثة له - رحمه الله - :

قال السيوطي - رحمه الله - وقال قتادة : كتب عمر بن عبد العزيز إلى ولي العهد من بعده « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر إلى يزيد بن عبد الملك ، سلامٌ عليك ، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو ، أما بعد :

فإني كتبت وأنا دنف من وجعي وقد علمت أني مسئول عما وليت يحاسبني عليه مليك الدنيا والآخرة ولست أستطيع أن أخفي عليه من عملي شيئًا فإن رضي الله عني فقد أفلحت ونجوت من الهوان الطويل ، وإن سخط عليَ

---

(١) كتاب سكب العبرات ، (جـ ١ ، ص ٢٠٢) .

فيا ويح نفسي إلى ما أصير ، أسأل الله الذي لا إله إلا هو أن يجيرني من النَّار برحمته وأن يمن عليَّ برضوانه والجنَّة فعليك بتقوى الله ، الرعية الرعية ، فإنك لن تبقى بعدي إلا قليلاً ،والسلام [١] .

وصية الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - :

قال ابن كثير - رحمه الله - وكتب الإمام أحمد وصيته :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به أحمد بن محمد بن حنبل ، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وأوصى من أطاعه من أهله وقرابته أن يعبدوا الله في العابدين وأن يحمدوه في الحامدين ، وأن ينصحوا لجماعة المسلمين ، وأوصي أني قد رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ، وأوصى لعبد الله بن محمد المعروف ببوران على نحو من خمسين ديناراً وهو مصدق فيها فيقضى ما له علي من غلة الدار إن شاء الله فإذا استوفى أعطى ولد صالح كل ذكر وأنثى عشرة دراهم » .

ثم استدعى بالصبيان من ورثته فجعل يدعوا لهم وكان قد ولد له صبي قبل موته بخمسين يومًا فسماه سعيداً ، وكان له ولد آخر اسمه محمد قد مشى حين مرض فدعاه فالتزمه وقبله ثم قال : ما كنت أصنع بالولد على كبر السن ؟ .

فقيل له : ذرية تكون بعدك يدعون لك ، قال : وذاك إن حصل ، وجعل يحمد الله تعالى وقد بلغه في مرضه عن طاوس أنه كان يكره أنين المريض فترك الأنين حتى كانت الليلة التي توفي في صبيحتها وكانت ليلة الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول من هذه السنة فأن حين اشتد به الوجع » .

---

(١) كتاب تاريخ الخلفاء ، (ص ٢٠٨) .

OBEIKAN.COM

وصية الخليفة المفتون بفتنة خلق القرآن - المأمون - :

قال ابن كثير - رحمه الله - : وقد أوصى إلى أخيه ا لمعتصم وكتب وصيته بحضرته وبحضرة ابنه العباس وجماعة القضاة والأمراء والوزراء والكُتَّاب ، وفيها القول بخلق القرآن ، ولم يتب من ذلك بل مات عليه وانقطع عمله وهو على ذلك لم يرجع ولم يتب .

وأوصى أن يكبر عليه الذي يصلي عليه خمسًا وأوصى المعتصم بتقوى الله عز وجل والرفق بالرعية ، وأوصاه بعبد الله بن طاهر وأحمد بن إبرهيم وأحمد بن أبي داود ، وقال : شاوره في أمورك ولا تفارقه وإياك ويحيى بن أكثم أن تصحبه ثم نهاه عنه وذمه وقال : خانني ونفر الناس عني ففارقته غير راضٍ عنه، ثم أوصاه بالعلويين خيراً أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ، وأن يواصلوا بصلاتهم في كل سنة » (١) .

وصية أبي حازم - رحمه الله - :

عن محمد بن مصرف قال : دخلنا على أبي حازم الأعرج لما حضره الموت فقلنا : يا أبا حازم كيف تجدك ؟ .

قال : أجدني بخير راجيًا الله عز وجل حُسن الظن به ، ما يستوي من غدا أو راح يعمر عقد الآخرة فيقدمها أمامه قبل أن ينزل به الموت حتى يقدم عليها ، فيقوم لها وتقوم له ، ومن غدا وراح في عقد الدنيا يعمرها لغيرها ويرجع إلى الآخرة لا حظ له ولا نصيب له » (٢) .

وصية بشر بن الحارث الحافي - رحمه الله - :

قال محمد بن حفص جار بشر : دخلنا على بشر بن الحارث وهو مريض

---

(١) كتاب البداية والنهاية (جـ ٥ ، ص ٨١٩) .

(٢) كتاب ألف قصة وقصة (ص ٢٥٩) .

OBEIKAN.COM

فقال له رجل أوصني، فقال: إذا دخلت على مريض فلا تُطل القعود عنده »[١].

وصية أم شبيب بن شيبة - رحمه الله -:

قال شبيب بن شيبة: أوصتني أمي عند موتها فقالت: يا بني إذا دفنتني فقم عند قبري وقل يا أم شبيب قولي « لا إله إلا الله »، فلما دفنتها قمت عند قبرها.

وصية أبي العتاهية - رحمه الله -:

أوصى أبي العتاهية بكتابة هذه الأبيات على قبره:

أُذن حي تسمعي ... اسمعي ثم عي وعي
أنا رهن بمضجعي ... فحذري مثل مصرعي
عشت تسعين حجة ... في ديار التزعزعي
ليس زاد سوى التقى ... فخذي منه أو دعي[٢]

وصية العلاء بن اللجلاج - رحمه الله -:

عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه قال: إذا أنا مت فضعني في اللحد وقل « بسم الله وعلى سُنَّة رسول الله، وشن التراب شنًا، واقرأ عند رأسي بفاتحة البقرة فإني سمعت عبد الله بن عمر يقول ذلك.

وصية عمر بن حسين الجمحي - رحمه الله -:

قال مالك بن أنس - رحمه الله - ولقد أخبرني من حضره عند الموت فسمعه يقول: ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الصافات: ٦١]، قال ابن وهب فقلت لمالك: أتراه قال هذا لشيء عاينه، قال نعم ».

---

(١) كتاب ألف قصة وقصة (ص ٤٥).
(٢) كتاب: سكب العبرات، (جـ١، ص ٥٠٣).

OBEIKAN.COM

وصية مالك بن دينار - رحمه الله - :

قال ابن الجوزي - رحمه الله - عن عمار بن زاذان : أن مالك بن دينار لما حضره الموت قال : لولا أني أكره أن أصنع شيئًا لم يصنعه أحد من قبلي لأوصيت أهلي إذا أنا مت أن يقيدوني وأن يجمعوا يدي إلى عنقي فينطلقوا بي على تلك الحال حتى أُدفن كما يصنع بالعبد الآبق » (١) .

وصية يونس بن عبيد - رحمه الله - :

قال ابن الجوزي - رحمه الله - عن حماد بن زيد قال : قال يونس بن عبيد : احفظوا عني ثلاثًا ، مِت أو عشت : لا يدخلن أحدكم على سلطان يعظه ، ولا يخل بامرأة شابة وإن أقرأها القرآن ، ولا يمكن سمعه من ذي هوى » (٢) .

عطاء بن مسلم الخرساني - رحمه الله - :

قال ابن الجوزي - رحمه الله - عن عبد الرحمن بن زيد بن جابر قال :

حدثني عمي يزيد بن يزيد بن جابر عن عطاء الخراساني أنه كان يقول :

« إني لا أوصيكم بدنياكم ، أنتم بها مستوصون وأنتم عليها أحرص ، وإنما أوصيكم بآخرتكم فخذوا من دار الفناء لدار البقاء ، واجعلوا الدنيا كشيء فارقتموه فوالله لتفارقنها ، واجعلوا الموت كشيء ذقتموه فوالله لتذوقنه واجعلوا الآخرة كشيء نزلتموه فوالله لتنزلنها وهي دار الناس كلهم ليس من الناس أحد يخرج لسفر إلا أخذ له أهبته فمن أخذ لسفره الذي يصلحه اغتبط، ومن خرج إلى سفر لم يأخذ له أهبته ندم فإذا ضحى لم يجد ظلاً وإذا ظمىء لم يجد ماء يتروى به وإنما سفر الدنيا منقطع وأكيس الناس من قام بتجهز لسفر لا ينقطع » (٣) .

---

(١) كتاب صفة الصفوة (جـ٢ ، ص ٦٤١) .
(٢) كتاب صفة الصفوة (جـ٢ ، ص ٦٥٣) .
(٣) كتاب صفة الصفوة (جـ٢ ، ص ٧٨٧) .

OBEIKAN.COM

وصية عابدة من عابدات الشام - رحمها الله - :

قال ابن الجوزي - رحمه الله - عن أحمد بن أبي الحواري يقول : « بينما أنا ذات يوم في بلاد الشام في قبة من قباب المقابر ليس عليها باب إلا كساء قد أسبلته فإذا أنا بامرأة تدق الحائط فقلت من هذا ؟ ، قالت : امرأة ضالة ، دلني على الطريق رحمك الله قلت عن أي طريق تسألين ؟ ، فبكت ثم قالت : عن طريق النجاة قلت هيهات إن بيننا وبين طريق النجاة عقاب وتلك العقاب لا تنقطع إلا بالسير الحثيث ، وتصحيح المعاملة وحذف العلائق الشاغلة من أمر الدنيا والآخرة .

قالت : فبكت بكاء شديداً ثم قالت : يا أحمد سبحان من أمسك عليك جوارحك فلم تنقطع، وحفظ عليك فؤادك فلم يتصدع ثم خرت مغشياً عليها ، فقلت لبعض النساء : انظرن أيش حال هذه الجارية ؟ ، فقمن إليها ففتشنها فإذا وصيتها في جيبها : كفنوني في أثوابي هذه فإن كان لي عند الله خير فهو أسعد لي وإن كان غير ذلك بعداً لنفسي ، وحركوها فإذا هي ميتة » (١) .

وصية الإمام ابن جرير الطبري - رحمه الله - :

حضر وقت موته جماعة منهم أبو بكر بن كامل فقيل له قبل خروج الروح يا أبا جعفر أنت الحجة فيما بيننا وبين الله فيما ندين به فهل من شيء توصينا به من أمر ديننا وبينة لنا نرجوا بها السلامة في معادنا ؟ .

فقال : الذي أدين بالله به وأوصيكم هو ما ثبت في كتبي فاعملوا به وعليه وكلاماً هذا معناه ، وأكثر من التشهد وذكر الله عز وجل ومسح يده على وجهه وغمض بصره بيده وبسطها وقد فارقت روحه الدنيا » (٢) .

---

(١) كتاب صفة الصفوة (جـ٢ ، ص ٨٧٤) .

(٢) كتاب سكب العبرات (جـ١ ، ص ٢٧٨ ، ٢٧٧) .

OBEIKAN.COM

وصية جمال الدين التبريزي -رحمه الله- :

قال ابن بطوطة : أخبرني بعض أصحابه أنه استدعاهم (أهل الجبال) قبل موته بيوم واحد وأوصاهم بتقوى الله ، وقال لهم : إني مسافر عنكم غداً إن شاء الله وخليفتي عليكم الله الذي لا إله إلا هو ، فلما صلى الظهر من الغد قبضه الله في آخر سجدة منها ووجدوا في جانب الغار الذي كان يسكنه قبراً محفوراً عليه الكفن والحنوط فغسَّلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه » [١] .

وصية إبراهيم أحد موالي الروم -رحمه الله- :

هو العالم المولى الأجل كان والده من سادات العجم ومن أكابر أولياء الله وكان إبراهيم منقطعاً عن الناس في العلم والعبادة زاهداً ورعاً يستوي عنده الذهب والدر وكان متواضعاً خاشعاً ، ولما كان في مرض موته وهو قريب من الاحتضار فتح عينيه فقال : « إن الله تعالى كريم لطيف شاهدت من كرمه ما أعجز عن شكره ، ومات في تلك الليلة » [٢] .

وصية محمد بن عمر المُعلم -رحمه الله- :

كان السيد محمد عمر المقلب بالمُعلم قد جمع ليلة وفاته جميع الأصحاب وأوصى بما وردت به السُّنَّة والكتاب ، وجعلهم عن يمينه وشماله وأعلمهم بساعة انتقاله وأمرهم بقراءة القرآن بإخلاص ، وكرر هو سورة الإخلاص ، ولم يزل يكررها إلى أن فاضت روحه عند آخرها ـ رحمه الله ـ وكانت وفاته سنة تسع وعشرين وثمانمائة » [٣] .

---

(١) كتاب سكب العبرات (جـ ١ ، ص ٣٧١) .
(٢) كتاب سكب العبرات (جـ ١ ، ص ٣٧٥ ، ٣٧٤) .
(٣) كتاب سكب العبرات (جـ ١ ، ص ٤٠١ ، ٤٠٠) .

وصية صالح بن مسمار -رحمه الله- :

قيل لصالح بن مسمار : ألا توصي بابنك وعيالك فقال : إني لأستحي من الله أن أوصي بهم غيره (١) .

وصية أبي بكر الواسطي - رحمه الله - :

لما احتضر رحمه اللهقيل له أوصنا ، فقال : احفظوا مراد الحق فيكم ، واحتضر أحدهم فبكت امرأته فقال لها: ما يبكيك ؟! ، فقالت : أبكي عليك ، فقال : إن كنت باكية فابكي على نفسك فلقد بكيت على هذا اليوم أربعين سنة (٢) .

وصية داود بن أبي هند - رحمه الله - :

قال حماد : « بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به داود بن أبي هند » أوصي بتقوى الله عز وجل ولزوم طاعته وطاعة رسوله والرضى بقضائه والتسليم لأمره وأوصاهم بما أوصى به يعقوب بنيه ﴿ **يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [البقرة : ١٣٢] ، وداود يشهد بما شهد الله عز وجل عليه وملائكته أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وبالجنَّة والنَّار وبالقدر كله على ذلك يحيا وعلى ذلك يموت إن شاء الله تعالى » .

وصية الإمام البخاري - رحمه الله - :

يقول ابن حجر رحمه الله : وقال محمد بن أبي حاتم الوراق : سمعت غالب بن جبريل وهو الذي نزل عليه البخاري بخرتنك يقول : أنه أقام أياماً فمرض حتى وجه إليه رسول من أهل سمرقند يلتمسون منه الخروج إليهم فأجابهم وتهيأ للركوب ولبس خفيه وتعمم فلما مشى قدر عشرين خطوة أو

---

(١) كتاب سكب العبرات (جـ ١ ، ص٤٤٣) .
(٢) كتاب سكب العبرات (جـ ١ ، ص٤٤٣) .

نحوها إلى الدابة ليركبها وأنا آخذ بعضده قال : أرسلوني فقد ضعفت فأرسلناه فدعا بدعوات ثم اضطجع فقضى ثم سال منه عرق كثير وكان قد قال : لنا كفنوني في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة ، قال : ففعلنا فلما أدرجناه في أكفانه وصلينا عليه ووضعناه في حفرته فاح من تراب قبره رائحة كالمسك ودامت أياماً وجعل الناس يختلفون إلى القبر أياماً يأخذون من ترابه إلى أن جعلنا عليه خشبا مشبكًا » (١) .

وصية أبي سهل كثير بن زياد البصري - رحمه الله- :

عن عبد الله بن شوذب قال : قيل لأبي سهل كثير البصري حين حضره الموت أوصنا فقال : تبيعون دنياكم بأخرتكم تربحونها جميعًا ولا تبيعون أخرتكم بدنياكم فتخسرونها ، والله جميعًا .

وصية حميد بن عبد الرحمن الحميري - رحمه الله- :

عن حماد بن سلمة قال : قرأت في وصية حميد بن عبد الرحمن الحميري أوصى أنه يشهد أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأوصى أهله من بعده أن يتقوا الله ويصلحوا ذات بينهم ، وألا يموتوا إلا وهم مسلمون .

وصية الإمام محمد بن سيرين - رحمه الله- :

قال ابن عوف : أوصى ابن سيرين عند موته :

« بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به محمد بن أبي عمرة بنيه وأهله : أن اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ، وأوصى كما أوصى يعقوب بنيه ﴿ **يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ**

(١) كتاب مقدمة فتح الباري (ص ٥١٨) .

وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٢] .

وأوصى ألا يرغبوا أن يكونوا موالي الأنصار وإخوانهم في الدين وأن العفة والصدق خير وأبقى وأكرم من الرياء والكذب وإن حدث لي حدث في مرضي هذا فلي أن أغير وصيتي هذا ثم ذكر حاجته » .

وصية ذي الإصبع لابنه - رحمه الله - :

لما احتضر ذو الإصبع العدواني دعا ابنه أُسيد فقال له :

يا بني إن أباك قد فني وهو حي ، وعاش حتى سئم العيش ، وإني موصيك بما أن حفظته بلغت في قومك ما بلغته ألن جانبك لقومك يحبونك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم ، واسمح بمالك واعزز جارك وأعن من استعان بك ، وأكرم ضيفك ، وأسرع النهضة في الصريخ فإن لك أجلاً لا يعدوك وصن وجهك عن مسألة أحد شيئًا ، فبذلك يتم سؤددُك » (١) .

وصية يزيد الرقاشي - رحمه الله - :

عن دُرُست الفزاز قال : لما احتضر يزيد الرقاشي بكى فقيل له ما يبكيك رحمك الله ؟ ، قال : أبكي والله على ما يفوتني من قيام الليل وصيام النهار ثم بكى ، وقال : من يصلي لك يا يزيد ؟ ، ومن يصوم ؟ ومن يتقرب لك إلى الله بالأعمال بعدك ؟ ، ومن يتوب لك إليه من الذنوب السالفة ؛ ويحكم يا أخوتاه لا تغترون بشبابكم فكأني قد حل بكم ما بي من عظيم الأمر وشدة كرب الموت ، النجاء النجاء ، الحذر الحذر ، يا أخوتاه المبادرة رحمكم الله » (٢) .

---

(١) كتاب : جواهر الأدب ، (ص ١٨٨) .

(٢) كتاب المحتضرين (ص ١٤٦) .

OBEIKAN.COM

وصية قاضي المدينة أبي طوالة - رحمه الله - :

عن أبي عبد الرحمن العمري الزاهد قال : جمع أبو طوالة عبد الرحمن بن حزم الأنصاري ولده عند موته فقال : يا بني اتقوا الله فإنكم إن اتقيتم الله فأنتم على الصدر والنحر وإن لم تتقوا الله لم أبال ما صنع الله بكم [١] .

وصية أبي يعلى محمد بن الحسين بن الفراء - رحمه الله - :

قال ابن الجوزي - رحمه الله - : انتهى إليه مذهب أحمد وكان متعبداً حسن السُمعة ، فلما احتضر غزل أكفان نفسه وأوصى أن لا يكفن بغيرها ، ولا يُخرق عليه ثوب ولا يقعد لعزاء [٢] .

وصية أبي بكر بن حبيب - رحمه الله - :

قال عنه ابن الجوزي تلميذه : سمع الحديث وتفقه ، وكان يدرس ويعظ وكان نِعْمَ المؤدب، فلما احتضر قال له أصحابه : أوصنا ، فقال : أوصيكم بثلاثة : بتقوى الله عز وجل ، ومراقبته في الخلوة ، واحذروا مصرعي هذا ، فقد عشت إحدى وستين سنة وما كأني رأيت الدنيا ،ثم قال لبعض إخوانه انظر هل ترى جبيني يعرق فقال نعم ، فقال : الحمد لله هذه علامة المؤمن يريد بذلك قول رسول الله ﷺ : « **المؤمن يموت بعرق الجبين** » [٣] ثم بسط يده وقال :

ها قد مددت يدي إليك فردها ... بالفضل لا بشماتة الأعداء [٤]

وصية الإمام ابن الجوزي شيخ الوعاظ - رحمه الله - :

قال الذهبي - رحمه الله - أوصى أن يكتب على قبره :

يا كثير العفو عمن ... كثر الذنب لديه

---

(١) كتاب : سكب العبرات ، (جـ ١ ، ص ٢٤١) .
(٢) كتاب : سكب العبرات ، (جـ ١ ، ص ٢٧٨) .
(٣) أخرجه : أحمد (٥ / ٣٥٧) ، والنسائي (٤ / ٦) .
(٤) كتاب : سكب العبرات ، (جـ ١ ، ص ٢٨٤) .

OBEIKAN.COM

جـــاءك المذنـب يرجـــو الصـــفح عن جـــرم يديه
أنـا ضـــيـف وجـــزاء الضـــيف إحـــســـان إهليـــه

وصية الإمام أبي محمد بن عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي :

قال الضياء : سمعت أبا موسى يقول مرض أبي في ربيع الأول مرضًا شديداً منعه من الكلام والقيام واشتد ستة عشر يومًا وكنت أسأله كثيراً ما يشتهي فيقول : « أشتهي رحمة الله » لا يزيد على ذلك فجئته بما حار فمد يده فوضأته وقت الفجر فقال يا عبد الله قم صل بنا وخفف فصليت بالجماعة وصلى جالسًا ثم جلست عند رأسه فقال اقرأ « يس » فقرأتها .

وجعل يدعوا وأنا أُؤَمن فقلت : هنا دواء تشربه قال بني : ما بقي إلا الموت فقلت : ما تشتهي شيئًا ، قال : أشتهي النظر إلى وجه ربي سبحانه فقلت : ما أنت عني براضٍ ، قال : بلى والله فقلت ما توصي بشيء ، قال : ما لي على أحد شيء ولا لأحد عليَّ شئ ، قلت : توصيني ، قال : أوصيك بتقوى الله والمحافظة على طاعته ، فجاء جماعة يعودنه ، فسلموا فرد عليهم وجعلوا يتحدثون فقال : ما هذا ، اذكروا الله ، قولوا : لا إله إلا الله ، فلما قاموا جعل يذكر الله بشفتيه ويشير بعينيه ، فقمت أناول رجلاً كتابًا من جانب المسجد فرجعت وقد خرجت روحه ـ رحمه الله ـ [١] .

وصية أبي جعفر الهاشمي عبد الخالق بن عيسى العباسي :

قال عنه ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ : كان عالمًا فقيهًا ورعًا عابدًا زاهدًا قوَّالاً بالحق لا يحابي ولا تأخذه في الله لومة لائم .

وذكر ابن الجوزي : أنه لما اشتد مرضه تحامل بين اثنين ومضى إلى باب الحجرة

---

(١) سير أعلام النبلاء (جـ٢١) ، (ص ٤٦٩) .

فقال : جاء الموت ودنا الوقت وما أحب أن أموت إلا في بيتي بين أهلي فأذن له فمضى إلى بيت أخته بالحريم ، قال : وقرأت بخط أبي على البناء قال : جاءت رقعة بخط الشريف أبي جعفر وصيته إلى أبي عبد الله بن جردة فكتبها وهذه نسختها « ما لي يشهد الله ـ سوى الحبل والدلو وشيء يخفى عليّ لا قدر له ، والشيخ أبو عبد الرحمن إن رعاكم بعدي وإلا فالله لكم قال الله عز وجل : ﴿ **وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا** (٩) ﴾ [النساء ٩] ، ومذهبي الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمة وما عليه أحمد ومالك والشافعي وغيرهم ممن يكثر ذكرهم ، والصلاة بجامع المنصور إن سهل الله ـ تعالى ـ ذلك عليهم ولا يقعد لي عزاء ولا يشق عليّ حبيب ولا يلطم خد فمن فعل ذلك فالله حسيبه »، وتوفي ـ رحمه الله ـ الخميس سحرا ورآه بعضهم في المنام فقال له : ما فعل الله بك؟ ، قال : لما وضعت في قبري رأيت قبه من درة بيضاء لها ثلاثة أبواب وقائل يقول هذه لك ادخل من أي أبوابها شئت »[١] .

وصية الإمام فخر الدين الرازي - رحمه الله - :

قال الكمال محمود بن عمرو الرازي : سمعت فخر الدين يوصي بهذه الوصية لما احتضر لتلميذه إبراهيم بن أبي بكر الأصبهاني يقول : العبد الراجي رحمة ربه الواثق بكرم مولاه ، محمد بن عمر الحسن الرازي وهو أول عهده بالآخرة وآخر عهده بالدنيا وهو الوقت الذي يلين فيه كل قاسي ويتوجه إلى مولاه كل آبق أحمد الله بالمحامد التي ذكرها أعظم ملائكته في أشرف أوقات معارجهم ونطق بها أعظم أنبيائه في أكمل أوقات شهادتهم ، وأحمده بالمحامد التي يستحقها عرفتها أو لم أعرفها لأنه لا مناسبة للتراب مع رب الأرباب ، وصلواته على ملائكته المقربين والأنبياء والمرسلين ، وجميع عباد الله الصالحين .

---

(١) سكب العبرات (جـ١ ، ص ٣١٨) .

اعلموا أخلائي في الدين وإخواني في طلب اليقين أن الناس يقولون : **إن الإنسان إذا مات ، انقطع عمله وتعلقه عن الخلق وهذا مخصص من وجهين :**

الأول : أنه إن بقى منه عمل صالح صار ذلك سببًا للدعاء ، والدعاء له عند الله أثره .

والثاني : ما يتعلق بالأولاد وأداء الجنايات .

أما الأول : فاعلموا أني كنت رجلاً محبًا للعلم فكنت أكتب من كل شيء ، شيئًا لأقف على كميته وكيفيته سواء كان حقًا أو باطلاً إلا أن الذي نطق به في الكتب المعتبرة أن العالم المخصوص تحت تدبير مدبره المنزه عن مماثلة التحيزات موصوف بكمال القدرة والعلم والرحمة ولقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوي ، الفائدة التي وجدتها في القرآن ، لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال لله ويمنع من التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات وما ذاك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى في تلك المضايق العميقة والمناهج الخفية فلهذا أقول كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدانيته وبراءته عن الشركاء كما في القدم والأزلية والتدبير والفاعلية فذلك هو الذي أقول به وألقى الله به، أما ما ينتهي الأمر فيه إلى الدقة والغموض، وكل ما ورد في القرآن والصحاح والمتعين للمعنى الواحد فهو كما قال والذي لم يكن كذلك أقول : يا إله العالمين إني أرى الخلق مطبقين على أنك أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين فكل ما مده قلمي أو خطر ببالي فأستشهد وأقول : إن علمت مني أني أردت به تحقيق باطل أو إبطال حق فافعل بي ما أنت أهله ، وإن علمت مني أني ما سعيت إلا في تقديس اعتقدت أنه حق وتصورت أنه صدق فلتكن رحمتك مع قصدي لا مع حاصلي ، فذاك جهد المقل وأنت أكرم من أن تضايق الضعيف الواقع في زلة فأغثني وارحمني واستر زلتي وامح حوبتي يا من لا يزيد

ملكه عرفان العارفين ، ولا ينقص ملكه بخطأ المجرمين ، وأقول ديني متابعة الرسول ﷺ ، وكتابي القرآن العظيم ، وتعويلي في طلب الدين عليهما .

اللهم يا سامع الأصوات ، ويا مجيب الدعوات ، ويا مقيل العثرات ، أنا كنت حسن الظن بك ، عظيم الرجاء في رحمتك وأنت قلت : « **أنا عند ظن عبدي بي** » (١) وأنت قلت ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ** ﴾ [النمل : ٦٢] ، فهب أني ما جئت بشيء فأنت الغني الكريم فلا تخيب رجائي ولا ترد دعائي واجعلني آمنا من عذابك قبل الموت وبعد الموت وعند الموت ، وسهل على سكرات الموت فإنك أرحم الراحمين، وأما الكتب التي صنفتها ، واستكثرت فيها من إيراد السؤالات فليذكرني من نظر فيها بصالح دعائه على سبيل التفضل والإنعام وإلا فليحذف القول السيء ، فإني ما أردت إلا تكثير البحث وشحذ الخاطر والاعتماد في الكل على الله .

الثاني : وهو إصلاح أمر الأطفال فالاعتماد فيه على الله ثم إنه سرد وصيته في ذلك إلى أن قال : وأمرت تلامذتي ومن لي عليه حق إذ أنا مت أن يبالغون في إخفاء موتي ويدفنوني على شرط الشرع فإذا دفنوني اقرؤوا على ما قدروا عليه من القرآن ثم يقولون : يا كريم جاء الفقير المحتاج فأحسن إليه ، هذا آخر الوصية .

ومن شعره في آخر حياته :

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في غفلة من جسومنا ... وحاصل دنيانا ووبال
لم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها ... رجال فزالوا والجبال جبال
وكم قد رأينا من رجال ودولة ... فبادوا جميعًا مزعجين وزالوا (٢)

---

(١) **حديث صحيح** : رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٣٠٥) .
(٢) كتاب : سكب العبرات ، (جـ١ ، ص ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣) .

وصية علقمة العطاري - رحمه الله - :

لما حضرته الوفاة قال لابنه : يا بني إن نازعتك نفسك يومًا إلى صحبة الرجال فاصحب من إذا خدمته صانك وإن صحبته زانك إن قعدت بك مؤنك مانك واصحب من إذا مددت يديك بخير مدها ، وإن رأى منك حسنة عدها ؛ وإن رأى منك سيئة سدها ، اصحب من إذا سألته أعطاك وإن سكت ابتدأك ؛ وإن نزلت بك نازلة واساك ؛ واصحب من إذا قلت صدق قولك ، وإن حاولتما أمرًا أمرك وإن تنازعتما آثرك [١] .

وصية أبي طالب المكي « محمد بن عليّ بن عطية » - رحمه الله - :

قال ابن كثير - رحمه الله - قال أبو القاسم بن سرات :

دخلت على شيخنا أبي طالب المكي وهو يموت فقلت له : أوص ، فقال : إذا ختم لي بخير فانثر على جنازتي لوزًا وسكرا ، فقلت وكيف أعلم بذلك ؟ ، فقال : اجلس عندي ويدك في يدي فإن قبضت على يدك فاعلم أنه قد ختم لي بخير ، وقال : ففعلت فلما حان فراقه قبض على يدي قبضًا شديدًا ، فلما رفع على جنازته نثرت اللوز والسكر على نعشه [٢] .

وصية عليّ بن عيسى بن سليمان أبو الحسن الفارسي المعروف بالسكري :

قال ابن كثير - رحمه الله - :

كان يحفظ القرآن ويعرف القراءات وصحب أبا بكر الباقلاني وأكثر شعره في مديح الصحابة وذم الرافضة وكانت وفاته في شوال من هذه السنة (٤١٣هـ) ودفن بالقرب من قبر معروف ، وقد كان أوصى أن يكتب على قبره هذه الأبيات التي عملها وهي قوله :

---

(١) « ٢٨٠ قصة » ، (ص ٨) .

(٢) كتاب البداية والنهاية (جـ٦ ، ص ٤٠٩) .

OBEIKAN.COM

يانفس يا نفس كم تمادين في تلفى ... وتمشين في الفعال المعيب
راقبي الله وتحذري موقف العرض ... وخافي يوم الحساب العصيب
لا تغرنك السلامة في العيش ... فإن السليم رهن الخطوب
كل حي فللمنون ولا يدفع ... كأس المنون كيد الأديب
واعلمي أن للمنية وقتًا ... سوف يأتي عاجلاً غير هيوب
إن حب الصديق في موقف ... الحشر أمانٌ للخائف المطلوب [١]

وصية تائب إلى الله :

قال بعض الأخيار لولده لما حضرته الوفاة : يا بني اسمع وصيتي واعمل ما أوصيك به ، قال : نعم يا أبتِ ، قال : يا بني اجعل في عنقي حبلاً وجرني إلى عذابي ، ومرغ خدي على التراب ، وقل هذا جزاء من عصى مولاه ، قال : فلما فعل ذلك به رفع طرفه إلى السماء وقال : إلهي وسيدي ومولاي قد آن الرحيل إليك أزف القدوم عليك ولا عذر لي بين يديك غير أنك الغفور وأنا العاصي ، وأنت الرحيم وأنا الجاني ، وأنت السيد وأنا العبد ، ارحم خضوعي وذلتي بين يديك فإنه لا حول ولا قوة إلا بك ، قال : فخرجت روحه في الحال فإذا بصوتي ينادي من زاوية البيت سمعه كل من حضر وهو يقول : تذلل العبد إلى مولاه واعتذر إليه مما جناه فقربه وأدناه وجعل جنَّة الخُلد مأواه .

وصية معروف بن الفيرزان الكرخي - رحمه الله - :

قال ابن الجوزي - رحمه الله - عن أبي بكر الزجاج قال : قيل لمعروف الكرخي في علته أوصي ، فقال : « إذا مت فتصدقوا بقميصي هذا فإني أحب أن أخرج من الدنيا عريان كما دخلت إليها عُريانًا » [٢] .

---

(١) كتاب البداية والنهاية (جـ٦ ، ص ٤٧٣) .
(٢) صفة الصفوة (جـ ١ ، ص ٤٠١) .

OBEIKAN.COM

وصية السري بن المغلس السقطي - رحمه الله - :

قال ابن الجوزي - رحمه الله - قال الجنيد : دخلت على السري السقطي وهو في النزع فجلست عند رأسه فوضعت خدي على خده فدمعت عيناي فوقع دمعي على خده ، ففتح عينيه فقال لي : من أنت ؟ ، قلت : أنا خادمك الجنيد ، فقال : مرحبًا فقلت : أيها الشيخ أوصني بوصية أنتفع بها بعدك ، قال : إياك ومصاحبة الأشرار وأن تنقطع عن الله بصحبة الأخيار [١] .

وصية إبراهيم بن هانيء - رحمه الله - :

قال ابن الجوزي - رحمه الله - عن أبي بكر النيسابوري ، قال : حضرت إبراهيم بن هانئ عند وفاته فقال لابنه إسحاق ، أنا عطشان فجاءه بماء فقال : هل غابت الشمس؟ ، قال : لا ، قال : فرده ثم قال :﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (٦١) ﴾ [الصافات : ٦١] ، ثم خرجت روحه .

وعنه قال : حضرت إبراهيم بن هانئ النيسابوري يوم وفاته فدعا ابنه إسحاق فقال : هل غربت الشمس ؟، قال : لا ، ثم قال : يا أبة رخص لك في الإفطار في الفرض وأنت متطوع ، قال : أمهل ثم قال :﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ [٢] .

وصية عبد الله بن المبارك - رحمه الله - :

قال ابن الجوزي - رحمه الله - : قال الحسن بن الربيع سمعت ابن المبارك حين حضرته الوفاة وأقبل نصر يقول له : يا أبا عبد الرحمن قل : لا إله إلا الله ، فقال له : يانصير قد ترى شدة الكلام عليّ ، فإذا سمعتني قلتها فلا تردها عليّ حتى تسمعني قد أحدثت بعدها كلامًا فإنما كان يستحبون أن يكون آخر كلام العبد ذلك [٣] .

---

(١) صفة الصفوة (جـ١ – ٤٢٩) .
(٢) صفة الصفوة (جـ١ – ٤٣٧) .
(٢) صفة الصفوة (جـ٢ – ٧٨٤) .

OBEIKAN.COM

وصية محمد بن أسلم أبو الحسن الطوسي - رحمه الله - :

قال ابن الجوزي - رحمه الله - قال : أبو عبد الله محمد بن القاسم الطوسي خادم بن أسلم وكان يقول : والله الذي لا إله إلا هو ما رأيت نفسًا تصلي إلى القبلة شرًا عندي من نفسي ودخلت عليه قبل موته بأربعة أيام بنيسابور ، فقال : يا أبا عبد الله تعال أبشرك بما صنع الله بأخيك من الخير قد نزل بي الموت وقد منَّ الله عليَّ أنه ليس عندي درهم يحاسبني الله عليه ، وقد علم ضعفي فإني لا أطيق الحساب فلم يدع عندي شيئًا يحاسبني الله عليه ، ثم قال : أغلق الباب ولا تأذن لأحد عليَّ حتى أموت ، واعلم أني أخرج من الدنيا وليس أدع ميراثًا غير كسائي ولبدي وإنائي الذي أتوضأ فيه وكتبي ، وكان معه صرة فيها ثلاثين درهمًا فقال هذه لأبني أهداه إليه قريب له ولا أعلم شيئًا أحل لي منه لأن النَّبي ﷺ قال : « **أنت ومالك لأبيك** »(١) فكفنوني منها فإن أصبتم لي بعشرة دراهم ما يستر عورتي فلا تشتروا بخمسة عشرة وابسطوا على جنازتي لبدي وغطوا عليَّ بكسائي وتصدقوا بإنائي أعطوه مسكينًا يتوضأ منه ثم مات اليوم الرابع(٢) .

وصية رابعة العدوية - رحمها الله - :

قال ابن الجوزي - رحمه الله - قالت : عبدة فلما حضرتها الوفاة دعتني فقالت : ياعبدة لا تؤذني بموتي أحدًا وكفنيني في جبتي هذه ، جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون ، قالت : فكفناها في تلك الجبة وخمار صوف كانت تلبسه(٣) .

وصية حبيب أبي محمد الفارسي - رحمه الله - :

قال ابن الجوزي - رحمه الله - : كان مجاب الدعوة حضر مجلس الحسن

---

(١) حديث صحيح .
(٢) كتاب : صفة الصفوة (جـ ١ ، ص ٧٧٣) .
(٣) كتاب : صفة الصفوة (جـ ١ ، ص ٧١٢) .

فتأثر بموعظته عما كان يملك ، قال إسماعيل بن زكريا قال : قالت امرأة حبيب أبي محمد كان يقول : « إن مت فأرسلي إلى فلان يغسلني وافعلي كذا واصنعي كذا ، فقيل لامرأته أرأى رؤيا ؟ ، قالت : هذا يقوله كل يوم وعن عبد الواحد بن زيد أن حبيبًا أبي محمد جذع جذعًا شديدًا عند الموت فجعل يقول بالفارسية ـ أريد أن أسافر سفرًا ما سفرته قط ـ أريد أن أسلك طريقًا ما سلكته قط ، أريد أن أزور سيدي ومولاي وما رأيته قط ، أريد أن أشرف على أهوال ما شاهدت مثلها قط ، أريد أن أدخل تحت التراب فأبقى تحته إلى يوم القيامة ثم يقول لي : يا حبيب هات تسبيحه واحدة سبحتني في ستين سنة لم يظفر بك الشيطان فيها بشيء ، فماذا أقول وليس لي حيلة ؟ ، أقول : يارب هو ذا ، قد أتيتك مقبوض اليدين إلى عنقي »[١] .

وصية محمد بن واسع -رحمه الله- :

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ : قال يونس بن عبيد : دخلنا على محمد بن واسع نعوده فقال : ما يغني عني ما يقول الناس إذا أخذ بيدي ورجلي فألقيت في النار وعن حزم قال : قال محمد بن واسع وهو في الموت يا أخوتاه تدرون أين يذهب بي ؟ ، والله الذي لا إله إلا هو إلى النار أو يعفو عني .

وعن محمد بن عبد الله مولى الثقفيين قال : دخلنا على محمد بن واسع وهو يقضي فقال : يا أخوتي يا أخوتاه هبوني وإياكم ، سألنا الله الرجعة فأعطاكموها ومنعنيها فلا تخسروا أنفسكم[٢] .

وصية سليمان بن مهران الأعمش الأسدي -رحمه الله- :

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ : قال أبو بكر بن عياش : « دخلت على

---

(١) كتاب : صفة الصفوة (جـ ٢ ، ص ٦٦١) .

(٢) كتاب : صفة الصفوة (جـ ٢ ، ص ٦٦٣) .

الأعمش في مرضه الذي توفى فيه فقالت :أدعو لك طبيباً ؟ ، فقال : ما أصنع به؟ ، فوالله لو كانت نفسي في يدي لطرحتها في الحش ، إذا أنا مت فلا تؤذن بي أحداً واذهب بي فاطرحني في لحدي »[١] .

وصية الخليفة عبد الملك بن مروان - رحمه الله - :

قال ابن كثير - رحمه الله - : وقيل إنه لما احتضر دخل عليه ابنه فبكى فقال له عبد الملك : ما هذا ؟ ، أتحن حنين الجارية ؟ ، إذا أنا مت فشمر وأتزر والبس جلد النمر وضع الأمور عند أقرانها واحذر قريشاً ثم قال له : يا وليد اتقي الله فيما استخلفت فيه واحفظ وصيتي وانظر إلى أخي معاوية فصل رحمه واحفظني فيه ، وانظر إلى أخي محمد فأمِّره على الجزيرة ولا تعزله عنها ، وانظر إلى ابن عمنا عليّ بن العباس فإنه قد انقطع إلينا بمودته وله نسب وحق فصل رحمه ، واعرف حقه وانظر إلى الحجاج بن يوسف فأكرمه فإنه هو الذي مهد لك البلاد وقهر الأعداء وخلص لكم الملك وشتت الخوارج ، وأنهاك وإخوتك عن الفرقة وكونوا أولاد أم واحدة ، وكونوا في الحرب أحراراً ، وللمعروف منارًا ، فإن الحرب لم تدن منية قبل وقتها ، وإن المعروف يشيد ذكر صاحبه ويميل القلوب بالمحبة ، ويذلل الألسنة بالذكر الجميل ، ولله در القائل :

إن الأمور إذا اجتمعن فرامها ... بالكسر ذو حنق وبطش مفند
عزت فلم تكسر وإن هي بُدِدَتْ ... فالكسر والسومين للمبدد

ثم قال : إذا أنا مت فادع الناس إلى بيعتك فمن أبى فالسيف ، وعليك بالإحسان إلى إخوتك فأكرمهن وأحبهن إليَّ فاطمة وكان قد أعطاها قرطى مارية والدرة اليتيمة ، ثم قال : اللهم احفظني فيها ، فتزوجها عمر بن عبد العزيز وهو

---

(١) كتاب : صفة الصفوة (جـ ٣ ، ص ٥٥٦) .

ابن عمها ، ولما احتضر سمع غسَّالاً يغسل الثياب ، فقال : يا ليتني كنت غسالاً أكسب ما أعيش به يومًا بيوم ولم آل الخلافة ، **ثم تمثل فقال :**

لعمري لقد عمرت في الملك برهة ... ودانت إلى الدنيا بوقع البواتر
وأعطيت حمر المال والحكم والنهي ... ولي سلمت كل الملوك الجبابر
فأضحى الذي قد كان مما يسرني ... كحلم مضى في المنزمنات الغوابر
فيا ليتني لم أعن بالملك ليلة ... ولم أسع في لذات عيشٍ نواضر[1]

وقد أنشد هذه الأبيات معاوية بن أبي سفيان عند موته .

قال أبو مسهر : قيل لعبد الملك في مرضه كيف تجدك ؟ ، قال : أجدني كما قال الله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ** ﴾ [الأنعام : ٩٤] .

وصية الخليفة سليمان بن عبد الملك - رحمه الله - :

قال ابن كثير - رحمه الله - : قال ابن جرير : عن رجاء بن حيوة - وكان وزير صدق لبني أُمية - قال : استشارني سليمان بن عبد الملك وهو مريض أن يولي له ابنًا صغير لم يبلغ الحلم ، فقلت أن مما يحفظ الخليفة في قبره أن يولي على المسلمين الرجل الصالح ثم شاور لي في ولاية ابنه داود فقلت إنه غائب عنك بقسطنطينية ولا تدري أحيٌّ هو ؟ ، فقال من ترى ؟ ، فقلت : رأيك يا أمير المؤمنين ، قال : كيف ترى في عمر بن عبد العزيز ؟ ، فقلت : أعلمه والله خيِّرًا فاضلاً مسلمًا يحب الخير وأهله ولكن أتخوف عليه أخوتك أن لا يرضوا بذلك ، فقال : هو والله على ذلك ، وأشار رجاء أن يجعل يزيد بن عبد الملك ولي العهد من بعد عمر بن عبد العزيز ليرضى بنو مروان .

---

(١) كتاب : البداية والنهاية ، (جـ ٥ ، ص ٩٠ ، ٩١) .

OBEIKAN.COM

فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من عبد الله سليمان بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز : إني قد وليته الخلافة من بعدي ، ومن عبده يزيد بن عبد الملك ، فاسمعوا له وأطيعوا واتقوا الله ولا تختلفوا ، فيطمع فيكم عدوكم ، وختم الكتاب ، وأرسل إلى كعب بن حامد العبسي صاحب الشرطة فقال له : اجمع أهل بيتي فمرهم فليبايعوا على ما في هذا الكتاب مختومًا ، فمن أبى منهم ضُرب عنقه ، فاجتمعوا ودخل رجال منهم ، فسلموا على أمير المؤمنين فقال لهم هذا الكتاب عهدي إليكم فاسمعوا له وأطيعوا وباعيوا من وليت فيه فبايعوا لذلك رجلاً رجلاً ، قال رجاء : ودخلت على سليمان فإذا هو يموت فجعلت إذا أخذته السكرة من سكرات الموت أحرفه إلى القبلة فإذا أفاق يقول : لم يأن لذلك بعد يا رجاء ، فلما كانت الثالثة قال : من الآن يا رجاء إن كنت تريد شيئًا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، قال : فحرفته إلى القبلة فمات ـ رحمه الله ـ[1] .

وصية عبد الله بن شداد لابنه - رحمه الله - :

قال الكلبي : لما حضرت عبد الله بن شداد الوفاة دعا ابنًا له يقال له محمد ، فقال : يا بني إني أرى داعي الموت لا يُقلع وأرى من مضى لا يرجع ، ومن بقى فإليه ينزع ، وإني موصيك بوصية فحفظها « عليك بتقوى الله العظيم ، وليكن أولى الأمور بك شكرًا لله وحُسن النية في السر والعلانية ، فإن الشكور يزداد ، والتقوى خير زاد ، وكن كما قال الخطيئة :

ولست أرى السعادة جمع مالٍ ... ولكن التقي هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخرًا ... وعند الله للأتقى مزيدُ
وما لا بُد أن يأتي قريب ... ولكن الذي يمضي بعيد

---

(١) كتاب : البداية والنهاية ، (جـ ٥ ، ص ٢٣٩) .

أي بني :لا تزهدن في معروف فإن الدهر ذو صُروف والأيام ذات نوائب على الشاهد والغائب ، فكم راغب قد يكون مرغوبًا إليه ، وطالب أصبح مطلوب ما لديه ، واعلم أن الزمان ذو ألوان ومن يصحب الزمان يرى الهوان ، **وكن أي ـ بني ـ كما قال أبو الأسود الدؤلي :**

وعد من الرحمن فضلاً ونعمة ... عليك إذا ما جاء للعرف طالب
وإن أمرًا لا يُرتجى الخير عنده ... يكن هينًا ثقيلاً على من يصاحب
فلا تمنعن ذا حاجة جاء طالبًا ... فإنك لا تدري متى أنت راغبُ
رأيت التواء هذا الزمان بأهله ... بينهم فيه تكون النوائب

أي بني : كُن جوَّادً بالمال في موضع الحق ، بخيلاً بالأسرار عن جميع الخلق ، فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجه البر ، وإن أحمد بخل الحر الضن بمكتوم السر ، **وكن كما قال قيس بن الخطيم الأنصاري :**

أجود بمكنون التلاد وإنني ... بسرك عمن سالني لضنين
إذا جاوز الإثنين سر فإنه ... ينث[1] وتكثير الحديث قمين
وعندي له يومًا إذا ائتمنتني ... فكان بسواد الفؤاد مكين

أي بني : وإن غلبت يومًا على المال فلا تدع الحيلة على حال ، فإن الكريم يحتال والدني عيال ، وكن أحسن ما تكون في الظاهر حالاً وأقل ما تكون في الباطن مالاً فإن الكريم من كرمت طبيعته وظهرت عند النفاد نعمته .

وكن كما قال بن حذق العبدي :

وجدت أبي قد أورثه أبوه ... خلالاً تعد من المعالي
فأكرم ما تكون على نفسي ... إذا ما قل في الأزمات مالي

---

(١) نث الحديث : أفشاه .

فتحسن سيرتي وأصون عرضي ... ويجمل عند أهل الرأي حالي
وإن نلت الغنى لم أغلُ فيه ... ولم أخصص بجفوتي الموالي

أي بني : وإن سمعت كلمة من حاسد فكن كأنك لست بالشاهد فإنك إن أمضيتها خيالها [١] ، رجع العيب على من قالها وكان يقال : الأريب العاقل هو الفطن المتغافل ، **وكان كما قال حاتم الطائي :**

وما من شيمتي شتم ابن عمي ... وما أنا مخلف من يرتجيني
وكلمة حاسد في غير جرمي ... سمعت فقلت مري فانفذيني
فعابوها عليا ولم تسئوني ... ولم يعرق لها يومًا جبيني
وذو اللونين يلقاني طليقًا ... وليس إذا تغيب يأتليني [٢]
سمعت بعيبه فصفحت عنه ... محافظة على حسبي ودِيني

أي بني : لا توأخ امرءًا حتى تعاشره وتتفقد موارده ومصادره فإذا استطعت العشرة ورضيت الخبرة فواجه على إقالة العثرة والمواساة في العسرة ، **وكن كما قال المقنع الكندي :**

إبْلُ الرجال إذا أردت إخائهم ... وتوسمن فعالهم وتفقد
فإذا ظفرت بذي اللبابة والتقى ... فبه اليدين قرين عين فاشدد
وإذا رأيت ولا محالةً زلة ... فعلى أخيك بفضل حلمك فاردد

أي بني : إذا أحببت فلا تفرط وإذا أبغض فلا تشطط فإنه قد كان يقال أحبب حبيبك هونًا ما عسى أن يكون بغيضك يومًا وأبغض بغيضك هونًا ما

---

(١) ظرف بمعنى إزاء .
(٢) يقول : إذا غاب عني فلن يقصر في نكايتي .

OBEIKAN.COM

عسى أن يكون حبيبك يومًا » ، **وكن كما قال : هُديه بن الخشرم العذري :**

وكن معقلاً للحلم وصفح عن الخنا ... فإنك راءٍ ما حببت وسامعُ
وأحبب إذا أحببت حبًا مقاربًا ... فإنك لا تدري متى أنت نازعُ
وأبغض إذا أبغضت بغضًا مقاربًا ... فإنك لا تدري متى أنت راجع (١)

وصية أحد الوزراء : ـ رحمه الله ـ :

أوصى بعض الوزراء أن يكتب على قبره :

أيها المغرور في الدنيا بعزٍ يقتنيه ... وبأهل وبمال وبقصر تبتنيه
كم عليها قد سجناه ذيل سلطان وفيه ... يحسب الأفلاك تجري بخلود وترتجيه
إذا طوانا الموت طيًّا ... فاعتبر ما نحن فيه

وصية تائب :

عن أبان بن صالح : قال : خرجت يومًا من عند أنس بن مالك نتمشى فلما كنت بسوق البصرة فإذا أنا بأربعة من الرجال يحملون جنازة فقلت واعجبًا ، أسواق البصرة عامرة مشتكة بالناس ولم يصحب هذه الجنازة غير أربعة من الرجال لأكونن خامسهم فسرت معهم حتى أتوا الجبانة .

فقلت لهم : يا قوم آيكم ولي هذا الميت فليصل عليه ؟ .

فقالوا: كلنا فيه سواء، فتقدم أنت فصلي عليه فصليت عليه وواريناه التراب .

فقلت لهم : بالله عليكم ألا ما صدقتموني بخبر هذا الميت .

فقالوا : ما منا من يعلم خبراً غير أن هذه المرأة إكترتنا فالتفت إليها وإذا أنا بامرأة مقبلة فجاءت حتى جلست عند القبر ساعة ثم قامت وهي تضحك فقلت

(١) كتاب : جواهر الأدب (ص ١٨٨ – ١٩١) .

لها : يا لله العجب بامرأة تضحك على قبر ميتها ؟ .

ثم قلت لها : بالله عليكم ألا ما أخبرتني مما ضحكت ؟ .

فقالت : يا هذا ما لك وما لا يعنيك قلت لها : أخبريني فإني إبان خادم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ فقالت : يا إبان لو لم تكن ذاك ما أخبرتك بحديث أبداً ، اعلم أن هذا الميت ولدي وكان مسرفًا على نفسه فلما كان البارحة اشتد الأمر به فنادى : يا أماه فأجبته فقال : سألتك بالله إلا ما فعلت بي ما أمرك به ، فقلت له : قل ما بدا لك ، فقال : إذا أنت مت فلا تعلمي أحداً من جيراني وخذي خاتمي هذا وانقشي عليه « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، واجعليه بين جلدي وكفني فإذا أوضعت في قبري فضعي يدك علي ضفيرة شعرك وارفعيها إلى الله وتضرعي إليه أن يغفر لي وقولي : إله قد رضيت عنه ، فارض عنه ، ثم قال : يا أماه قومي ثم ضعي رجلك اليمنى على حر وجهي وقولي هذا جزاء من عصى الله عز وجل ـ فقمت ـ والله يا إبان ـ ووضعت رجلي هذه المشئومة على حر وجهه حتى مات فاكتريت هؤلاء الأربعة فغسَّلوه وكفنوه وحملوه إلى قبره ، وواروه التراب كما رأيت ، فلما انصرفوا جعلت شعري في يدي كما قال ورفعته إلى الله وقلت : يا أرحم الراحمين يا أكرم الأكرمين يا خير منزول به قد علمت منا السر والعلن ، واطلعت على ما ظهر وبطن وقد توسل ولدي العاصي المذنب الخاطئ إليك برضى والدته المسكينة الذليلة وقد رضيت عنه فارض عنه فسمعت صوتًا من داخل القبر يقول انصرفي يا أماه ، فقد قدمت على رب كريم وقد غفرلي ذنوبي فهذا الذي أضحكني ثم ولت وهي مسرورة .